تصدير

نحن ـ مؤلفى ـ هذه الوثيقة، نرى لزاما علينا أن نلقى الضوء على الظروف التى أحاطت بمنشأ التفكير فيها، والتدبير لتنفيذ هذا التفكير، وعلى الأسلوب الذى اتبعناه فى صياغتها، وما نرجوه لها من مستقبل على أيدى أبناء المهنة الطبية، فى رحاب مصر والوطن العربى.

فقد جمعت بيننا ـ على اختلاف مسالك حياتنا ـ عدة قواسم مشتركة، تمتد جذورها جميعا فيما اصطُلح على تسميته: الاهتمام بالشأن العام. وربما جَمَعت بيننا كذلك رغبة صادقة فى السعى نحو التوظيف الاجتماعى الأمثل لتراكم خبراتنا وما جادت به هذه التراكمات من كشف لبصائرنا وشحذ لعزائمنا.

وقد استرعى انتباهَنا ما تحظى به المهنة الطبية من استئثار بمعظم مناقشاتنا، وكانت هذه المناقشات تتسع لتشمل الجوانب المختلفة للمهنة والتخصص، جوانب الممارسة، وتقديم الخدمات الطبية للمواطنين، وإجراء البحوث العلمية الإكلينيكتة، واستشراف المستقبل. وقد التقت هذه المناقشات مع الرغبة الغالبة علينا جميعا فى التوظيف الأمثل لتراكم خبراتنا. وانبثق عن هذا الالتقاء قرار بأن نصوغ أفكارنا فى شكل وثيقة تحدد منظومة القيم الأخلاقية التى ينبغى أن تظل إطاراً يفصح عن مكنون الضمائر لدى أبناء المهنة، ويسترشدون به فى المواقف التى يصعب فيها الحسم ويشحُّ الوضوح.

وفى السبيل إلى تنفيذ هذا القرار وجعله واقعًا ملموسا؛ بدأنا فى عقد سلسلة من الاجتماعات فى الشهور الأولى من عام 1997، ولم تتوقف هذه الاجتماعات أبدًا منذ أن بدأت، وقد استمرت بمعدَّل ما يقرب من مرة كل شهر أو يزيد قليلا، حتى نهاية عام 2003. وكنا على امتداد هذه السنوات الست نرقب عن كثب نمو الوثيقة

بين أيدينا، ونزداد اقتناعًا برسالتها، وكنا نستمد من هذا الاقتناع ما يشحذ العزم ويجدد التصميم على مواصلة العمل إلى منتهاه.

ولابد هنا من كلمة عن الأسلوب الذى اتبعناه فى عملنا طوال هذه المدة؛ فقد بدأنا بالاطلاع على بعض وثائق المعايير الأخلاقية لما هو مغاير للمهنة الطبية. من هذا القبيل: مهن بعض المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، ومهنة الأستاذية الجامعية، كما أطلعنا على بعض الوثائق التى أصدرتها هيئة الصحة العالمية والخاصة بأخلاقيات صناعة الدواء. وفى مرحلة متقدمة من العمل اطلعنا على الوثيقة البريطانية للأخلاقيات الطبية المنشورة سنة 1993، والوثيقة الأمريكية المناظرة لها والمنشورة سنة 97/1996. وقد اقتصرت إفادتنا من النظر فى هذه الوثائق جميعا على استلهام فلسفتها وتوجهاتها العامة. وتحاشينا ـ عن قصدٍ ـ أى نقل للفكر الوارد فيها بنصه ورسمه، وكان واضحًا لأذهاننا منذ فاتحة اجتماعاتنا أننا نسعى إلى تخليق وثيقة تجمع فى نَصّها بين العام والخاص، العام: هو ما يتعلق بالمهنة الطبية كما عرفتها الإنسانية على مر القرون، والخاص: ما يشير إلى المهنة الطبية بوجهها المصرى فى إطارها العربى. وبعد أن فرغنا من مرحلة الأطلاع ومناقشة ما اطلعنا عليه، بدأت تتبلور فى أذهاننا أفكار تمس أوضاع المهنة وسلوكياتها لدينا. وشيئا فشيئًا زادت هذه الأفكار كمًّا وارتقت كيفًا، وتقدمنا من الوحدات الفكرية البسيطة إلى التراكيب المكثَّفة العميقة، ثم إلى الأقسام الكبرى لما يجب أن تحتوى عليه الوثيقة من موضوعات رئيسية، ثم إلى ما يملأ ثغرات هنا وهناك فى هذه الأقسام الكبرى.. إلخ،

فى جميع هذه المراحل والخطوات، كانت هناك مبادئ أساسية حاكمة لحركتنا، منها وأن يسهم كل منا بما عنده من أفكار وخبرات، ومنها: أن نغلّب روح الترحيب بالأفكار الجديدة حتى نضمن تدفُّقها بوفرة ملحوظة ثم نتناولها بالنظر النقدى لامتحانها على محكات الملاءمة والكفاءة والتركيز. وكنا نقرر فيما بيننا التزامات يلتزم بها بعضنا لتجميع ما صدر عنا من أفكار، وتنظيمها، وكتابتها بصورة تسمح بإعادة النظر فيها فى جلسة تالية. واجتمعت لنا من خلال هذه الكتابات المتناثرة فقرات لم تلبث أن انتظمت فى أجزاء، ثم انتظمت الأجزاء فى الأقسام الكبرى للوثيقة. وفى كل ذلك كان التعاون القائم على البذل، والتقدير المتبادل، والالتزام

بالموضوعية، كانت هذه جميعا هى السمات الرئيسية للمناخ الذى أنجزنا ـ فى رحابه مهمتنا.

وجدير بالذكر هنا: أننا لا ننظر إلى هذه الوثيقة التى نقدمها الآن على أنها القول الفصل فى موضوع أخلاقيات المهنة، ولكننا نعتبرها مجرد محاولة اجتهادية على طريق لا يزال بحاجة إلى مزيد من تكاتف العقول والخبرات والضمائر، وقد حشدنا لها جهودنا بطريقة خاصة؛ فقصدنا أن تكون معظم هذه الجهود طبية، وبعضها من تخصصات أخرى، وذلك تحقيقا لمزايا التفاعل بين المنظومات الفكرية المتعددة، وكذلك تمثيلا لصوت المجتمع غير الطبى فى وثيقة تنظّم ـ بين ما انظّمه ـ أسلوبَ التعامل بين الطب والمجتمع.

وأخيرًا وليس آخرا، نرى من واجبنا أن نعترف بالفضل لأصحابه:

فقد استضافتنا شركة "فايزر مصر للأدوية" بمجرد أن علمت بمشروعنا، واستمرت استضافتها إيانا طوال السنوات الست التى اتصلت اجتماعاتنا على امتدادها، لم تشُب استضافتها أية شائبة. وعندما انتهينا من أداء مهمتنا أعلمتنا أنها تقدّم منحة مالية مقدارها: "خمسة آلاف جنيه" إسهاما رمزيا منها فى نفقات طباعة الوثيقة ونشرها. وأمام هذا التصرف رفيع المستوى نقدم الشكر وفاء بحقها علينا.

أما عن الناشر: الدار المصرية اللبنانية، لصاحبها ومديرها: "الأستاذ محمد رشاد"، وكيل اتحاد الناشرين العرب، فقد رحَّب بنشر الوثيقة فور أن فاتحناه فى الأمر، بل وعبَّر صراحة عن سعادته بهذا النشر. ولا نجد فى متناولنا إزاء هذا الكرم سوى التعبير عن عظيم امتناننا.

وفَّقنا الله جميعا لكل ما فيه خير الأمة وصلاح الأجيال.

يوليو 2004 القاهرة .

المؤلفــون

obeikandl.com

مقدمة

الوثيقة المصرية لأخلاقيات المهنة الطبية :

تنص هذه الوثيقة على عدد من المبادئ العامة، التى تستند إلى مجموعة من القيم الأخلاقية، تكون فيما بينها منظومة متناسقة ومتكاملة، وتهدف إلى الإفصاح عما هو قائم مُضمراً فى النفوس حول المهنة الطبية، سواء عند ممارسيها، أم عند طالبى خدماتها، من إيمان بجليل رسالتها، وعظيم خطرها؛ مما يستلزم إحاطتها بكل ما يصون هذه الرسالة ويعظم فاعليتها.

مبررات إصدار هذه الوثيقة :

تصدر هذه الوثيقة استجابة لعدد من الاحتياجات الاجتماعية والمهنية، لوحظ تناميها كمًّا وكيفاً، كما لوحظ تزايد التعبير عنها بأشكال متباينة على مر العقود الأخيرة، تحت وطأة التغييرات الكبيرة المتلاحقة التى طرأت ولا تزال تطرأ على المجتمع المصرى، وعلى الآفاق العلمية والإمكانات العملية لما تستطيع المهنة الطبية أن تحققه من خدمات، وما تثيره من الآفاق والإمكانات من تساؤلات وقضايا تغطى مساحة كبيرة من جهة التقاء المهنة مع متلقى خدماتها من المواطنين، فيما يتعلق بآمالهم من ناحية، وما يسمى ضوابط السلوك عند مقدمى هذه الخدمة (من أعراف ومعتقدات). وتصدر هذه الوثيقة كذلك تشبهًا بما كان متبعاً عند الأقدمين: (اليونان والعرب)، وما هو متبع بصورة أشد وضوحاً وأكثر تفصيلاً فى المجتمعات الحديثة والمتقدمة من العناية بوضع صياغات صريحة لمواثيق تبرز معالم الأخلاقيات فى الممارسات الطبية بجميع أشكالها ومستوياتها الواجبة الاتباع. وكذلك أسوة بما هو متبع فى كثير من التخصصات والمهن التى تمس مصائر الناس فى حياتهم اليومية: الفردية والاجتماعية (كالتخصصات النفسية والاجتماعية)، فقد حرص

القائمون على أمر هذه التخصصات على وضع المواثيق الأخلاقية التى ينبغى الاحتكام إليها عند التعرض لأشكال الممارسات المختلفة لتخصصاتهم، وما يرتبط بها من مهن.

طبيعة هذه الوثيقة:

هذه الوثيقة التزام طوعى بالقواعد الأخلاقية الواجبة الاتباع فى شأن كل ما يمس مجال الطب، سواء على سبيل البحث العلمى، أم الممارسة بجوانبها المختلفة: (العلاجية، والوقائية، والتأهيلية... إلخ).

ويقصد بالالتزام الطوعى هنا : الإشارة إلى المغزى العام الذى تحمله نصوص هذه الوثيقة من وجوب اتباع ما ورد فيها لا عن خوف من عقاب، كما هو الحال فيما يتعلق بمعظم الوثائق القانونية، ولكن عن إيمان بالرسالة الإنسانية الجليلة التى تحملها المهنة الطبية فى طياتها، والتى تجسد فى خدمات محددة معانى وقيماً إنسانية فى مقدمتها التعاون (تعاون الطبيب مع المرضى، وتعاون فرقاء من الأطباء مع غيرهم من العلماء) على التصدى لجوانب بعينها من الضعف البشرى فى إطار من البذل والتعاطف.

وتعتبر الوثيقة من وجهة النظر هذه بمثابة الضمير للمهنة والقائمين عليها، فكما أن الضمير يتولد فى نفوسنا من خلال المعايشة والممارسة كذلك الأسس العامة التى تنطوى عليها هذه الوثيقة؛ إذ إنها مستوحاة مما تنطوى عليه بالفعل فى نفوس القائمين على المهنة من مبادئ إنسانية عامة يتوارثها جيل عن جيل، وأسهم فى دعمها وتفصيلها كل جيل بما يتناسب والجديد فى خبراته، وهو ما يبرز الوظيفة الحقيقية لهذه المبادئ، فقد كانت ولا تزال بمثابة المناخ المعنوى الذى لابد منه لكى تضمن المهنة فى ظله أفضل الشروط التى تكفل لها استمرار الحياة والحيوية. ومن هنا، كان الحرص على أن تأتى الأسس العامة لهذه المواثيق مستوحاة من هذه المبادئ، وكان الحرص على وضعها فى هذه الصيغة المكتوبة ليزيد حضورها فى النفوس وفى مناخ العمل قوة وفاعلية .

الأبواب الرئيسية للوثيقة :

- ❖ السلوك الشخصى كمرآة للمهنة.
- ❖ آداب المهنة تجاه الأفراد والمجتمع.
- ❖ الطبيب وازدواجية العلاقة بين مصلحة المريض، وحدود إمكانات الجهات المقدمة للخدمة الصحية.
- ❖ الإعلان والإعلام فى مهنة الطب.
- ❖ المواثيق الأخلاقية المنظمة للبحوث الإكلينيكية والعلمية.
- ❖ المعايير الأخلاقية المنظمة للتقدم العلمى الطبى المستقل الخاص بالهندسة الوراثية والعلاج الجينى.

obeikandl.com